مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٥: ١٢–٢٠)

في تلك الأيامِ جَرَتْ على أيدِي الرسُلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعب. وكانوا كلُّهم بنفسٍ واحدةٍ في رِواقِ سُليمانَ* ولم يكن أحدٌ من الآخرين يجترئُ أن يُخالِطَهم. لكن كان الشعبُ يُعظِّمُهم* وكان جماعاتٌ من رجالٍ ونساءٍ ينضمُّون بكثرةٍ مؤمنينَ بالرب* حتى إنَّ الناسَ كانوا يخرُجونَ بالمرضى إلى الشوارعِ ويضعونَهم على فُرُشٍ وأَسِرَّةٍ ليقعَ ولو ظِلُّ بُطرُسَ عند اجتيازه على بعضٍ منهم* وكان يجتمعُ أيضاً إلى أورشليمَ جمهورُ المدن التي حولها يحمِلون مرضى ومُعذَّبينَ من أرواحٍ نجِسة. فكانوا يُشفَونَ جميعُهم* فقام رئيسُ الكهنةِ وكلُّ الذينَ معه وهم من شيعةِ الصدُّوقيينَ وامتلأوا غَيرةً* فألقَوْا أيديَهم على الرسُلِ وجعلوهم في الحبسِ العام*

سلامي أعطيكم

حدّثنا الإنجيل الذي تلوناه في سَحَر الأحد الماضي، يوم الفصح (مر ١٦: ١–٨) أنه عند الغلس الفصحي بكّرت نسوة إلى قبر السيد ولما وجدنه فارغاً، فررن ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات. وبعد ذلك ذهبن إلى بطرس والرسل وبشّرن بالقيامة. تلقى الرسل البشارة بفرح ولكن بشيء كبير من الشك، إذ استمروا في مخبئهم والأبواب مغلقة، وذلك دليلاً على استمرار خوفهم. ولكن الناهض من القبر حلّ في وسطهم وحاول تهدئة روع قلوبهم قائلاً: «السلام لكم».

ذلك السلام أطلقه عليهم مرتين، لا للتحية وحسب إنما توطئة لما سوف يليه. «كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم». والسلام الداخلي المقترن بالشجاعة ضروري للرسول. ذلك السلام ببعده الداخلي يحمله الرسول ليستطيع مواجهة صعاب وتحديات الرسولية. هو بحاجة إليه ليواجه به العالم، بمعنى أنه بحاجة إليه لا ليحارب العالم بل ليدافع بواسطته عن نفسه متى حاربه العالم. إلا أن السلام هو أيضاً ما يحمله رسول المسيح وينقله إلى العالم. هذا السلام أعطاه الآب للإبن. والإبن سلّمه للرسل وهم كإخوة للرب وأبناء لله ينقلونه إلى العالم.

ثم إن السيد الواقف في وسطهم «نفخ فيهم وقال لهم خذوا الروح القدس، مَن غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومَن أمسكتم خطاياهم أُمسِكت». وكما أن الآب في اليوم الأول للخلق، جَبَل من الأرض طيناً ونفخ في الجبلة من روحه الإلهي، فصار وجه إنسان يواجه وجه الله، كذلك الإبن نفخ الروح القدس في وجوه التلاميذ فصاروا خليقة جديدة ورسلاً إلى العالم أجمع.

لماذا أرسلهم؟ وماذا كانت مهمتهم؟ أن يجمعوا له أكبر قدر ممكن من الأتباع؟ ليس الله رئيساً لجماعة تؤمن به أو تتبعه. ليست الكنيسة مؤسسة تنظيمية تضم أتباع المسيح وتكون قوّتهم في وحدتهم.

العدد ١٥/ ٢٠١٠
الأحد ١١ نيسان
أحد الرسول توما
تذكار القديس الشهيد في الكهنة أنتيباس أسقف مدينة برغامُس في آسيا
اللحن الأول
إنجيل السَحَرْ الأول

فـفـتـح مـلاكُ الـربِّ أبـوابَ السِّـجـنِ لـيـلاً وأخـرجـهـم وقـال* أمضُـوا وقِـفـوا في الـهـيـكـلِ وكلّـمـوا الشعبَ بجميعِ كلماتِ هذه الحياة.

الإنجيل

(يوحنا ٢٠: ١٩–٣١)

لما كـانت عشيَّـةُ ذلكَ الـيـومِ وهـو أولُ الأسـبـوعِ والأبوابُ مُغلَقةٌ حيثُ كانَ التلاميذُ مجتمعينَ خوفاً مـن الـيـهـودِ جـاءَ يسـوعُ ووقـف في الـوسْـطِ* وقـال لهم السلامُ لكم* فلما قال هـذا أراهُـم يـديـهِ وجـنبَـهُ. فـفـرح الـتـلامـيـذُ حينَ أبصـروا الـربَّ* وقـال لـهـم ثـانـيـةً السـلامُ لـكـم كـمـا أرسـلـنـي الآبُ كـذلك أنـا أرسِلُكم* ولما قال هذا نفخ فـيـهـم وقـال لـهـم خُـذوا الروحَ القدس* مَن غفَرتُم خطاياهم تُغفَرْ لهم ومَن أَمسَـكْـتـم خـطـايـاهـم أُمسِكَتْ* أما تـومـا أحـدُ الإثنَي عَشَرَ الذي يُقالُ له التوأم فلم يكنْ معهم حين جـاءَ يسـوع* فـقـال لـه التلاميذُ الآخرونَ إنَّنا قد رأينا الربَّ. فقال لهم إن لم أعـايِـنْ أثَـرَ المسـامير في يديهِ وأضَعْ إصبعي في أثَرِ المسـامير وأضَـعْ يـدي في جـنـبـهِ لا أؤمِـن* وبـعـد ثمانيةِ أيامٍ كان تلاميذُه

الكنيسة جسد المسيح الناهض من القبر والحامل سمات الجَلْد وجراح إكليل الشوك والحربة والمسامير. هذا الجسد المصلوب الممجد بآلامه وقيامته هو الكنيسة والمسيح هو قوة الكنيسة. هذه هي الصورة الحقيقية للمسيحي في العالم. هذا دوره وتلك هي رسالته. رسالته أن يشفي العالم من أوجاعه بالمغفرة والمسامحة. مَن غفرتم خطاياهم تُغفر لهم.

المسيحي مدعو أن يبلسم جراح الخاطئ بالغفران وإن كان لا يمكن له أن يتصالح مع الخطيئة. المسيحي مُرسَل من سيّده ليحمل السلام إلى العالم ولكي يمسح عن كل وجه كل دمعة. المسيحي مُرسَل للجائع والفقير والمريض والمسجون والغريب. المسيحي مُرسَل لغسل الأرجل كما فعل سيّده في ليلة العشاء الأخير.

سرّ غسل الأرجل يكاد يوازي بعظمته سر الصليب. وعسى ألا يُفهم سرّ الغسل هذا ببعده الخدماتي الإجتماعي. الإبن الضال، عندما عاد إلى أبيه قال والده: «اخرجوا الحلَّة الأولى والبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاءً في رجليه» (لو ١٥: ٢٢). فإن كانت الحلة الأولى ترمز إلى بهاء صورة الإنسان الأول في لحظة الخلق والخاتم يرمز للمُلك والقدرة على اتخاذ القرار وتوقيعه وختمه بختم سلطانه، إلا أن النعل يسمح للإنسان أن يتنقل بحريّة حتى في مسالك وعرة. الرجلان المنتعلتان تمكّنان الإنسان من التنقل بحرّية. هما رمز الحرية. والسيد بغسله أرجل التلاميذ خدم حريتهم، جعلها نقية حتى لا تتماهى بحرية الفوضى النابعة من شهوة الخطيئة. خَدَمهم جميعاً كأحرار، خَدَم حرية بطرس كما خَدَم حرية يهوذا مُسلّمه. وكأنه كان يقول لهم بالصبغة التي اصطبغت بها تصطبغون إن شئتم وتنكرونني ثلاثاً إن شئتم وتسلّمونني للموت إن شئتم. بغسله الأرجل كان كأنه يقول لهم أنتم أحرار في أن تتبعوني وأحرار في أن تكونوا لي رسلاً أو ألا تكونون، ولكنكم في كل حال أنتم أحرار. بموت السيد وقيامته أعاد الله الحرية للبشر، وأعادها مغسولة نقية من كل وسخ الشهوة.

إذاً المسيحي مرسل لغسل أرجل الناس، بمعنى أنه حامل للناس حريّة المسيح، حريّة أبناء الله الموشحة بالسلام. كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم. أرسلكم لتبشروا بقيامتي التي تُعيد إلى الإنسان جماله الأول، كرامته وحريّته وسلامه.

في ذلك اليوم لم يكن توما حاضراً مع التلاميذ عندما ظهر عليهم يسوع. ولما أخبره التلاميذ بذلك قال لهم: «لا أؤمن». ذلك اليوم القيامي الأول بدأ بخوف النسوة ورعدتهن وانتهى بشك توما. يدخل المسيح على التلاميذ والخوف والشك مسيطران وأبواب المكان وأبواب القلوب مُحكَمَةُ الإقفال. وبعد السلام يطلب من توما أن يمدّ يده ليؤمن بلمس اليد. فكيف نفسّر موقف توما وموقف السيد؟

في سَحر هذا الأحد نقول: «أيها المسيح المحب البشر لقد فرحت

أيضاً داخلاً وتوما معهم فأتى يسوعُ والأبوابُ مُغلَقةٌ ووقفَ في الوسْط وقال السلامُ لكم* ثم قال لتوما: هات إصبَعَكَ إلى هنا وعايِنْ يديَّ وهاتِ يدَكَ وَضَعْها في جنبي ولا تكُنْ غيرَ مؤمن بل مؤمناً* أجاب توما وقال له: ربّي وإلهي* قال لهُ يسوع: لأنكَ رأيتَني آمنتَ، طوبى للذينَ لم يَرَوا وآمنوا* وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنعَ يسوعُ أمام تلاميذِه لم تُكتَبْ في هذا الكتاب. وأمَّا هذه فقد كُتِبَتْ لتؤمنوا بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله. ولكي تكونَ لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمِه.

تأمل

«لكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه».

وإن كان المعمَّدون مثقلين بشقاء هذا العالم، بحمل هذا الجسد الفاسد، يجاهدون، يتعبون، يُجرَّبون ويتوبون إلاّ أنهم يلبسون المسيح بحال غير منظورة ممّا يمكّنهم من الآن للحصول على سيرته، وبعد الإبتعاد عمَّا هو هنا يشتركون بالغبطة الأبدية وعدم الفساد.

كما أنه عن طريق واحد هو آدم، انتقل الموت إلى أحفاده، هكذا عن طريق بتفتيش جنبك الذي بواسطته حوّلت توما المرتاب إلى مؤمن مقدماً له جنبك مؤكداً للعالم قيامتك الثلاثية الأيام» وفي سَحَر الخميس سنقول: «يا له من عجب باهر أن يوحنا إتكأ على صدر الكلمة وأما توما فأُهّل أن يفتش جنبه. فالأول اجتذب من ذاك الجنب عمق التكلّم باللاهوت أما هذا فاستحق أن يعلن لنا بجهارة ويكشف لنا أسرار قيامة المسيح هاتفاً ربي وإلهي المجد لك». إذاً وكما المنديل المتروك في القبر علامة على القيامة كذلك التفتيش في الجنب الطاهر تأكيد على أن المسيح قام وأنه بالجسد قام.

ألأنك رأيتني آمنت؟ توما رأى وشاهد. كل رسول شاهدٌ يخبر بما شاهد وهو أمينٌ في شهادته حتى الشهادة. أما الذين لم يروا (أكان بأعينهم أم بأيديهم) فهؤلاء بالنعمة يشاهدون بعيون القلب ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن وما لم تلمسه يدٌ. هؤلاء مدعوون إلى أبعد من المعرفة والتصديق بأن يسوع المسيح هو ابن الله ومخلّص العالم بموته وقيامته. هؤلاء بالنعمة يفهمون بالقلب ويدركون بالإيمان عظمة السر لأن الرب يفتح القلوب الحزينة والعقول المنغلقة بالمنطق، على رحاب ملكوته.

وكما توما والرسل، كل مسيحي مُرسل إلى العالم لا ليجتذب للمسيح أتباعاً. المسيحي مرسل ليبشِّر العالم بحقيقة القيامة. تلك القيامة التي تحمل إلى العالم السلام والحريّة. فطوبى لمن يحمل بجرأة رسالة المسيح إلى العالم وطوبى لمن يصرخ هاتفاً: ربي وإلهي المجد لك. رب المجد هذا لا يصطحب الناس إلى ملكوته كما يصطحب حكام الأرض الناس خلفهم إلى ممالك ترابية. ربّ المجد هذا يموت عن الخطأة مصلوباً ليحمل إليهم ملكوته فيتحوّل العالم بالقيامة ملكوتاً لله على الأرض.

الإيمان باليقين

لعل الرسول القديس توما، لمّا اشترط أن يلامس الجراح الإلهية ليؤمن بأن المسيح قد قام، لعلّه تجرّأ أن يقول علانية ما لم يجرؤ التلاميذ الآخرون على التفكير به. أي إنه تكلّم بحسب ضعف بشريته، وكثيرون من دارسي الكتاب المقدّس يرون في الشرط هذا شوقاً إلى معاينة الرب قائماً، لا شكاً بقيامته. أما الدليل إلى ذلك، فهو أنه عندما دخل الرب على التلاميذ ومعهم توما، لم يلمس هذا الأخير جراح السيد، على ما يوحي به سياق النصّ الإنجيلي، بل إنه ما أن عاين السيد أمامه بعد القيامة حتى انفتحت عينا قلبه، فرأى ما لا يُرى إلا بالإيمان وما عاد محتاجاً إلى التيقن عبر حواس الجسد. إذذاك وبعفوية المؤمن المتيقن هتف «ربي وإلهي». في سِفر زكريا النبي يقول السيد الرب: «هو يدعو باسمي وأنا أجيبه، أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي» (١٣: ٩). وفي إنجيل يوحنا، قال الرب يسوع نفسه لتلاميذه «متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذٍ تفهمون أني أنا هو» (٨: ٢٨).

واحد هو الكلمة الإله الإنسان، تنتقل إلى المولودين جديداً نعمة الحياة الأبدية السماوية. لذلك أصبحت السماء مفتوحةً لهم لكي تستقبلهم في الوقت المؤاتي. فإن حافظوا على الإيمان به وبالإيمان على العدالة والبرّ، يصبحون ورثة الله إذ يأخذون قوّة منه. ويصيرون ورثة مع المسيح يشتركون في حياته اللافاسدة وعديمة الموت، كائنين معه غير منفصلين عنه ومتمتّعين بمجده.

هذا لأن السماء من قبل كانت مغلقةً وكنّا أبناء الغضب. هذا كان تخلّياً عادلاً من الله بسبب الخطيئة وعصياننا. وعندما افتدانا الرب يسوع وأصبحنا مرضين له وملتصقين به، أصبحنا أبناءً أحبّاءَ، أبناءَ الرضى. انفتحت السماءُ لنا حتى نزل الروح القدس الساكن فينا محوّلاً جسد تواضعنا إلى شبه جسد المسيح الممجّد الذي به ربحنا عدم الفساد ودُعينا إلى السموات وجلست طبيعتنا عن يمين العظمة في السموات فوق كل رئاسة وسلطان.

القديس غريغوريوس بالاماس

هذا الإعلان الصادر عن الرسول توما بات إعلان الكنيسة الدائم، لأن نور القيامة بات قائماً فيها. وحضور المسيح في وسط الكنيسة كما حضر في وسط تلاميذه قائماً ممجداً أزال عنها، كما أزال عن التلاميذ آنذاك، مرارة الشكّ والتردّد فصارت جماعة الكنيسة في كل وقت تنادي بالمسيح رباً وإلهاً، لأنها ما زالت تعاينه قائماً، ولأنها صارت «بشرية جديدة» بعدما أمات المسيح على الصليب ضعفها ورد لها بقيامته الكرامة.

لقد غيّر ظهور الرب قائماً لا فكر الرسول توما وحسب بل كيانه بأسره. فهو لم يقل «حسناً، لقد صدقت أنك قمت من الموت»، بل قال «ربي وإلهي». أي إنه انتقل من معادلات اليقين الفكري، المحكوم بالبراهين الحسية، إلى البُعد الإلهي الذي فتحته القيامة، وهذا ما جعله يتجاوز شروطه السابقة. التماس البراهين الحسية لا يمكن أن يؤول، بأية حال من الأحوال، إلى تحقيق الإيمان. الذي ما زال أسير أرضيته يجادل، في العقل والحواس، بما لا يتسع له عقل ولا تحوط به حواس. الكنيسة ما استمرت قائمة لأنها وجدت لقيامة الرب دلائل أو براهين علمية – وهي ما اهتمت لهذا الأمر يوماً – بل لأنها ما انفكت تغذي شوقها إلى الإيمان، فكان لها هذا وفيراً. المسيحي يخاطب المسيح بقوله «ربي»، كمثل توما والمجدلية من قبله، معلناً إيمانه به معلّماً والتزامه تعاليمه. وهو يقول للمسيح «إلهي» لأنه يراه في حقيقته الأزلية، في ملء لاهوته (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله)، على ما في مطلع إنجيل القديس يوحنا. هذا الإنجيل يُقرأ في الكنيسة ابتداءً من يوم الفصح، لأنه منذ قيامة الرب بات المؤمن إنساناً جديداً، عيونه جديدة لأنها استنارت بنور القيامة، وقلبه جديد لأنه بات نابضاً بالإيمان اليقين.

مسرحية

برعاية سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام واحتفالاً بالذكرى الـ١٧٥ لتأسيس مدرسة الثلاثة الأقمار وبمناسبة بيروت عاصمة عالمية للكتاب، تدعو مدرسة الأقمار الثلاثة ومدرسة البشارة الأرثوذكسية وثانوية السيدة الأرثوذكسية أبناء رعايا الأبرشية لحضور العمل المسرحي الغنائي «كتاب زغير» تأليف وإخراج كلوديا مارشاليان، وذلك عند الساعة الثامنة من مساء الإثنين ١٩ نيسان في الفوروم دو بيروت.

للحصول على البطاقات يمكن الإتصال بالآباء كهنة الرعايا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb